وفرنسا ، وإدخال روسيا فى حظيرة عصبة الأمم وحظيرة الدول الغربية بعد أن لبثت بعيدة عنها زهاء ستة عشر عاما . وكانت هذه أول مرحلة فى سياسة فرنسا الجديده لتحقيق عزلة المانيا عن باقى الدول الأوربيـة ؛ وكانت المرحله الثانية ، هى توثيق أواصر التحالف بين يوجوسلافيا وفرنسا ، ثم حمل يوجوسلافيا على التقرب من إيطاليا ، وأخيراً تحقيق التفاهم بين فرنسا وإيطاليا وتسوية المسائل المعلقة بينهما وحملها بذلك على نبذ سياسة التفاهم مع المانيا الهتلرية بصورة نهائية . وكانت زيارة الملك اسكندر ملك يوجوسلافيا تحقيقاً لهذا البرنامج . ولـكن وقعت فاجعة مرسيليا التى ذهب ضحيتها الملك اسكندر ومسيو بارتو ؛ ولقيت السياسة الفرنسية بذلك صدمة قوية . بيـد أنها صدمة مؤقتة ، والظاهر أن فرنسا ستمضى فى تنفيـذ برنامجها السياسى ، وأن مسيو لاڤال وزير الخارجية الجديد ، سيستأنف العمل حيث وقف مسيو بارتو ؛ وسيقوم مكانه بزيارة رومه ، كما كان مقرراً من قبل . ولـكن الموقف ما يزال غامضاً ، ولا سيما إزاء ما يخشى وقوعه فى يوجوسلافيا عقب وفاة الملك اسكندر من الحوادث والتطورات الخطيرة

* * *

تلك سيرة الرجلين اللذين فقدتهما فرنسا فى أسبوع واحد . وقد فقدت فرنسا فى الأعوام الثلاثة الأخيرة جل أقطاب زعمائها القدماء ، مثل كليمنصو وفوش ودومير وبريان وبوانكاريه وبارتو ؛ وطويت بذهابهم مرحلة أو مراحل من تاريخ فرنسا المعاصر ، ولم يبق من أقطاب ساسة الجيل المنصرم سوى القلائل ، مثل تارديو الذى يمثل الـكتلة القومية ، وهريو الذى يمثل السياسة الأشتراكية . ولا ريب أن فرنسا ستشعر بفداحة هذه الخسارة خصوصاً فى هذه الآونة العصيبة التى تقتضى كثيراً من العمل السياسى المستنير . بيد أن للسياسة الفرنسية تقاليد راسخة ، وسوف يبرز الى الميدان السياسى رهط من الساسة والزعماء الجدد ليملأوا ذلك الفراغ ، وليقودوا الجمهورية الثالثـة الى نفس المثل والغايات التى عمل لها ساسة الجيل الراحل

محمد عبد الله عنان
المحامى

فى العيد الألفى لمولد الفردوسى

الشـــاهنامه

للدكتور عبد الوهاب عزام

ترجمة الكلمة التى ألقاها الأستاذ عزام بالفارسية على قبر الشاعر فى طوس

لست أريد أن أفصّل الـكلام فى الشاهنامه أو بعض مباحثها الـكثيرة . فأدباء إيران الـكرام أعرف بذلك وأقدر عليه ، ولـكنى أريد أن أتقدم اليـكم بكلمة موجزة تبين عن مكانة الشاهنامه فى آداب الأمم ولا سيما الأمم الشرقية :

قال بعض المؤلفين إن الشاهنامه إلياذة الشرق . وذلك التشبيه غير صحيح من بعض الوجوه ، فان الشاهنامه جديرة أن يكون لها بين أمم الشرق مكانة أرفع من مكانة الالياذة بين أمم الغرب . ذلـكم بأن الالياذة قصة حروب وقعت فى معترك ضيق من آسيا الصغرى بين اليونان والطرواديين . وهى زهاء ثمانية آلاف بيت ، تستمر حوادثها ستة وخمسين يوماً . والشاهنامه تقصّ حادثات ميدانها ما بين الهند والصين إلى البحر الأبيض المتوسط ، وتشمل كل ما وعت الروايات من تاريخ الأمة الايرانية وأساطيرها من أقدم عصورها الى العهد الاسلامى ، ويشترك فى وقائعها التورانيون والعرب والروم والهند ، ولا تحرم الصين من نصيب فيها . فـكل أمم آسيا العظيمة وبعض أمم أوربا يتناولها موضوع هذا الـكتاب العظيم . فقد أوعى الـكتاب من التاريخ والأساطير ما هو جدير بعناية المؤرخ الناقد ، مؤرخ السياسة أو مؤرخ الأدب والاجتماع

وصفت الشاهنامه نشوء الحضارة الايرانيـــة وتطورها ، وقصّت تاريخ الايرانيين ملوكهم وأبطالهم وكبرائهم فى القرون المتطاولة ، وأبانت عما كان بينهم وبين الأمم المجاورة من عداء ومودة ، وحرب وسلم . وصفت الجلاد الهائل المستمر بين إيران وتوران ، ثم مثلت ما كان بين الأمتين من جوار ومودة فى القرابة بين ملوك إيران وتوران ، إذ جعلتهم جميعاً بنى أفريدون ، ثم وصلت هذه القرابة بمصاهرات عديدة : كتزوج سياوخسن بن كيكاوس جريرة بنت پيران أعظم قواد التورانيين ، ثم فرنـگيس بنت أفراسياب أعظم ملوك توران ، ومن سياوخسن وفرنـگيس ولد كيخسرو حفيد كيكاوس وسبط أفراسياب . وكذلك نجد فى العصور التاريخية تزوج أنوشروان بنت الخاقان

وأما العرب فقد أجمل الكتاب فى أنبائهم ما كان بين الايرانيين والساميين من حوادث فى العصور المتطاولة ، فجعل الضحاك عربياً ، وقص وقائع كيكاوس وملك هاماوران (حمير) ووقائع أخرى بين الساسانيين والقبائل العربية . ثم ذكر طرفاً مما كان بين الأمتين من مودة وتعاون فيما كان من مصاهرة بينهما إذ تزوج بنو أفريدون الثلاثة سلم وتور وايرج ثلاث بنات لملك اليمن . وتزوج كيكاوس سوذابة بنت ملك حمير ، وتزوج زال بن سام رودابة بنت مهراب ملك كابل وهى عربية من نسل الضحاك ، فولد رستم بطل الأبطال من أب إيرانىّ وأم عربية . وأوضح من هذا ما كان بين الأمتين من مودة فى العهـــد الساسانى أعظم مظاهرها علاقة ملوك الحيرة بملوك الفرس ، وما كان للفرس من سلطان ومحبة بين العرب فى البحرين واليمن

والروم ذكروا فى أنباء الوقائع المتبادية التى كانت بين الساسانيين ودولة الروم الشرقية وفى قصة الاسكندر . ووصفت مودتهم فى قرابة ملوك الروم أبناء سلم بن أفريدون ، وفى تزوج گشتاسب بن لداسب من كتايون بنت ملك الروم ، وتزوج كسرى پرويز مريم بنت القيصر

والهند ذكروا فى حوادث منها وقائع كابلستان وحوادث بهرام گور وتزوجه بنت ملك الهند . والصين تذكر فى وقائع التورانيين وفى التجارة

فهذه النظومة العجيبة التى تتناول حوادث قرون وأمم كثيرة لا ينبغى أن تشبّه بالالياذة الضيقة الحدود ؛ وينبغى أن تكون عناية الشرقيين بها أعظم من عناية الغربيين بالالياذة

ولا ريب أن فى الشاهنامه أساطير كثيرة ، ولكن الأساطير فى الأدب أروع من الحقائق . ثم لا ينكر دلالة الأساطير على تطوّر الأمم وعلى كثير من عاداتها وأخلاقها . فان الأساطير وليدة خيال الأمة وأمانيها ، لا يحدها الواقع ولا تضيقها الحقيقة

وكم فى أساطير الشاهنامه فى العهدين الأول والثانى — عهدى البيشداديين والكيانيين — من حقائق دينية واجتماعية وتاريخية ألبست ثوب الخيال ، وحرفت فيها الوقائع والأسماء

وللشاهنامه ميزة أخرى على الالياذة ، وملاحم أخرى كالمهابهاراته والرامايانا ، بأنها كلها لشاعر واحد ، اذا استثنينا ألف البيت التى نظمها الدقيقىّ . والفردوسىّ ناظمها شاعر تاريخى معروف لا يشك أحد فى وجوده ، وأنه ناظم هذه الملحمة الرائعة ، على حين يكثر خلاف المؤرخين فى الالياذة وناظمها ، وعلى حين أن المهابهاراتا والرمايانا نظم شعراء عديدين بعضهم مجهول

فالشاهنامه سجل تاريخ أمة وأساطيرها منذ أقدم عصورها ، وهذا لا يعرف فى منظومة أخرى

* * *

لم يكن الفردوسى مخترع هذه الحادثات بل كان مصورها ، — فقد نظم الرجل ما ادخرته الروايات ، ولم يكن مخترعاً فى الذهاب مع خياله كيف يشاء . ودليل هذا فى الكتب الأخرى ولاسيما كتاب الثعالبى « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » وهو أقرب الكتب الى الشاهنامه ، وقد عاصر الثعالبى الفردوسى وقدم كتابه للأمير نصر أخى السلطان محمود الغزنوى الذى قدمت اليه الشاهنامه

أبو القاسم الفردوسى لدى عودته من عند السلطان محمود الغزنوى

وهذا يزيد فى قيمة الكتاب ، ويجعله مرآة تاريخ الأمة وأفكارها ، لا صورة من خيال الشاعر وأوهامه . وهذا أيضاً يزيد فى قدر الفردوسى ، فسير جداً أن يذلل الشاعر هذه الأكداس من الحوادث للنظم السلس المتين ، ويكلف نفسه السير فى حزنها وسهلها ، لايتخير الأيسر والأسهل من موضوعات النظم

لو كانت الشاهنامه قصصاً منثورة خالية من روعة الشعر وموسيقى النظم ، لكانت مع هذا جديرة بعناية الايرانيين والأمم الشرقية ، ثم عناية المؤرخين والباحثين فى الأمم كلها . فكيف وقد أفرغت هذه القصص فى صور شعرية رائعة ، ونظم متين منسجم ، يزيد المعنى جلالاً وروعة ؟ كيف وهى جهد شاعر

نابغة فى أكثر من ثلاثين عاماً ؟ لاتقتصر الشاهنامه على قصص الحادثات ، ولكنها تصور الوقائع حتى يكاد القارىء يرى الفرسان فى حومة الوغى ، ويبصر النقع معقوداً فى الآفاق ، ويسمع صليل السيوف ووقع الأسنة ، وصياح الأبطال وصهيل الخيل

وهذا الفردوسى وصاف الحروب لايقصر فى تصوّر عواطف الانسان والابانة عنها على لسان أبطال قصته ، وهو ليس عاجزاً فى قصص الحب كما ترى فى قصة زال وروذابه ، وقصة بيژن ومنيژه ، وقصة گشتاسب وكتايون . وناهيك به رجل أخلاق لايألو فى الدعاء الى الخير والنهى عن الشر . وهو بصير بأحداث الزمان يستخرج المواعظ من وقائع الكتاب ، فلا يكاد يفتتح فصلاً أو يختمه إلا واعظاً بليغاً محذراً من غِيَر الزمان

وإنى أستشهد هنا أستاذا من كبار المستشرقين درس الشاهنامه درساً بليغاً ، هو الأستاذ نلدكه الألمانى قال :

« إن الفردوسى شاعر مطبوع ، يستولى على فكر القارىء ، ويحيى القصة التافهة بانطاق الممثلين أمامنا ، بل كثيراً ما تضيع الحركات فى جلال الأقوال . وهو يفصل الحادثات فيبين أحسن إبانة عن حادثة لم يكتب عنها فى الأصل الذى نظم عنه أكثر من أنها وقعت ، ويبيح لنفسه أن يخلق حادثات صغيرة ليتم الوصف . وهو يعرف كيف يحيى أبطاله ، بل يخرج أحياناً البطل فى صورة جديدة غير التى عرفته بها الروايات ، وما أقدره على تبيان ماوراء أعمال الأبطال من أسباب وأفكار . والوصف النفسانى رائع جدا ، ونغمة البطولة تسمع فى الكتاب كله ، وعظمة الزمان القديم وأبهته ، وفرحه وترحه وجلاده ، مصورة فى أسلوب معجب ، حتى ليسمع الانسان صليل السيوف وجلبة المآدب . هو لا يبلغ فى التفصيل مبلغ هومير ، ولايستطيع مثله أن يجمل حادثة فى كلمات قليلة ، ولكنه مع هذا يمضى قدماً الى غايته حين يصف الوقائع ، وإن يكن فى الخطب والرسائل مكثاراً

مشاهد الحرب تستقبل القارىء فى كل مكان ، ولكن هناك ميادين للحب والعواطف الرقيقة ، فهناك قصص للحب عظيمة كقصة زال وروذابه ، وبيژن ، ومنيژه . وهى أجل أقسام الكتاب ، والشاعر فى هذا ، بل فى كتابه كله ، يملك القارىء ببساطة الوصف . وعاطفة الأمومة والأبوة والقرابة واضحة فى الكتاب كذلك ، ولكن يصحبها التعطش للدماء ثأراً للأقارب ، فقصة الانتقام لسيا وخسن مثلاً تملأ صفحات من الكتاب كثيرة جداً ، وهذا الولع بالثأر يتمكن حتى نجد الرجل العاقل گو درز يشرب دم أطيب الأعداء پران . . . .

ويتجلى فى الكتاب كذلك ندب حظوظ الانسان فى هذا العالم الحائل والاعتبار بغِيَر الزمان » اهـ

هذه الميزات الأدبية والتاريخية جعلت للشاهنامه مكانة علية فى الأدب الفارسى منذ نظمت ، فحاكاها كثير من الشعراء بقصص متصلة بموضوعها ، فنظمت ست قصص أبطالها من أسرة رستم وهى : گرشاسب نامه ، وبطلها گرشاسب جدّ أسرة سام ابن نريمان . وسام نامه ، وبطلها سام بن نريمان جد رستم . وجهانگير نامه ، وبطلها جهانگير بن رستم . وفرامرز نامه ، وبطلها فرامرز بن رستم . وبانو گشاسب نامه ، وبطلتها بانو گشاسب بنت رستم وامرأة گيو بن گودرز . وبرزو نامه ، وبطلها برزو بن سهراب بن رستم . ونظمت بهمن نامه ، وبطلها بهمن بن اسفنديار

ثم نظمت بعد قصص أخرى كتيمور نامه التى نظمها الهاتفى ، وشاهنامة القاسمى الكونابادى ، وشاهية مجد الدين البابرى النسائى . ولا تزال محاكاة الشاهنامه مستمرة حتى العصر الحاضر

وقد حاكاها الترك إن صح ما يروى أن شاعراً فى القرن العاشر الهجرى من رؤسه اسمه الفردوسى الطويل نظم شاهنامه طويلة جداً فى ٣٨٠ جزءاً ، وأهداها للسلطان بايزيد الثانى ، فأمر بانتخاب ٨٠ جزءاً منها وإحراق الباقى ، فغضب الشاعر وهجا السلطان وهجر بلاد الروم الى خراسان حيث مات غمّاً

وأولع الناس بترجمة الشاهنامه الى لغاتهم ، فترجمت الى عشر لغات . وكانت اللغة العربية أولى اللغات بترجمة الشاهنامه ، لما بين الأدبين العربى والفارسى من التقارب . ولذلك كانت العربية أسبق اللغات الى إحراز هذه الترجمة . فقد أمر الملك المعظم بن الملك العادل الأيوبى الفتح بن على البندارى الأصفهانى أن يترجم الشاهنامه الى اللغة العربية ، فشرع يترجمها فى جمادى الأولى سنة ٦٢٠ ، وأتمها فى شوال سنة ٦٢١ . استطاع أن يترجم هذا الكتاب العظيم فى ثمانية عشر شهراً ، وهى همة عالية ومقدرة عظيمة من هذا الأديب الكبير . ونحن نعترف لاخواننا الايرانيين بفضل إنشاء الشاهنامه وفضل ترجمتها الى اللغة العربية

ترجم البندارى الكتاب نثراً بلغة سهلة غير متكلفة ، ونقل الحوادث مجردة من التفصيل والتصوير الشعرى ، فجاء الكتاب

فى نحو ١٨٥٠٠ سطر ، فى كل سطر نحو عشر كلمات . وذلك نحو نصف الشاهنامه

ومعظم تصرّف المترجم يرجع الى ما يأتى :

١ — حذف بعض الفصول الصغيرة كفصل تجريب أفريدون أولاده فى قصة أفريدون ، وقتل رستم الفيل الأبيض وذهابه الى الجبل الأبيض فى قصة منوچهر ، ومقاتلة رستم وجنكس فى قصة كامدس الكاشانى ، ونصح زال ابنه رستما فى قصة اسفنديار الخ

٢ — وحذف بعض الحوادث كما حذف ما وقع بين رستم والتركمان حينما ذهب لاحضار كيقباد من جبل ألبرز ، وحذف ذهاب امرأة گيو الى أبيها رستم حينما ذهب زوجها الى توران باحثاً عن كيخسرو

٣ — وحذف أكثر مقدمات الفصول التى يتكلم فيها الفردوسى عن نفسه أو يعظ ، كما حذف مقدمة قصة سهراب ورستم التى تكلم فيها الشاعر عن موت الشبان وحكمته ؛ ومقدمة قصة سياوخسن التى يتكلم فيها الفردوسى عن الشعر والكلام البليغ

٤ — اختصار الرسائل والخطب والوصايا المطوّلة ، واختصار الوصف فى الحروب وآلات الحرب ، ووصف الخيل والوحوش ، ووصف المآدب الخ

٥ — وحذف مدائح السلطان محمود ، وإثبات مدح الملك المعظم فى بعض مواضعها

٦ — ويزيد روايات من كتب التاريخ كالطبرى والمسعودى ، كما روى قصة ملك الحضر فى عهد سابور بن أردشير ، ونقل ما كان بين هرمز بن ترسى ورعيته

والمترجم فى هذا أمين لا ينقل كلمة من كتاب آخر إلا نبّه اليها الخ . الخ . وقد أصلحت بعض هذه العيوب على قدر الطاقة حينما نشرتُ الترجمة العربية

لم ينقل المترجم الى العربية جمال شعر الفردوسى ، ولكن نقل حوادث الشاهنامه مختصرة فيسّر لقارئ العربية الأحاطة بموضوع الكتاب فى وقت قصير . ولا بد أن يكمل نقص هذه الترجمة بترجمة منظومة للكتاب كله أو لفصول منه

ولهذه الترجمة العربية قيمة أخرى ، فقد ترجمت فى أوائل القرن السابع الهجرى قبل أن يكثر الاختلاف بين نسخ الشاهنامه . وليس عندنا نسخة من الكتاب ترجع الى ذلك القرن . فيمكن أن يستعان بهذه الترجمة فى المقارنة بين نسخ الشاهنامه المختلفة وترجيح بعضها على بعض

* * *

اهتمت الأمم الشرقية الاسلامية من بعد بترجمة الشاهنامه ، فترجمت الى التركية العثمانية ، والى التركية الشرقية ، وطبعت الترجمة الأخيرة فى طشقند سنة ١٣٢٦ . وترجمت الى اللغة الكجراتية وطبعت فى بمباى (١٨٩٧ — ١٩٠٤) ، وترجمت الى اللغة الأردية كذلك

وفى القرن التاسع عشر الميلادى عرف الأوربيون الشاهنامه واهتموا بها ، فترجمها مول الى الفرنسية وطبعت على نفقة الدولة فى نصف قرن بين سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٧٧ وطبع معها الأصل الفارسى فى ثمانية مجلدات ضخمة ، وهى أعظم طبعة للشاهنامه عرفت فى العالم كله

وترجم اتكنسون الى الانكليزية رستم وسهراب ، ثم الكتاب كله ترجمة مختصرة وطبعت فى لندن سنة ١٨٣٠ ، وترجم أرنولد سهراب ورستم أيضاً . ثم ترجم ورنر وأخوه الكتاب كله نظماً وطبع سنة ١٩٠٥ فما بعدها ، وكذلك ترجم رُجَرس معظم الكتاب وطبع فى لندن سنة ١٩٠٧

وترجم الكتاب الى الألمانية نظماً مرتين : ترجمة فون شاك وطبع فى برلين سنة ١٨٥١ الى سنة ١٨٦٥ ، ثم ترجمه رُكرت ، وطبع فى برلين من سنة ١٨٩٠ — سنة ١٨٩٥

ومن قبلها ترجم جُرس خلاصة الكتاب الى موت رستم ، وطبعه فى برلين سنة ١٨٣٠

وأوفى ترجمة للشاهنامه الترجمة الايطالية ، ترجمها بزى نظماً ، وطبعها فى تورينو ١٨٨٦ — ١٨٨٨ فى ثمانية مجلدات

وطبع الأوربيون الشاهنامه الفارسية نفسها مراراً ، طبع الجزء الأول منها لسدن فى كلكتا سنة ١٨١١ ، وطبعها كلها تزرمكن فى كلكتا سنة ١٨٢٩ وهذه الطبعة أصل لطبعات أخرى . وطبعها مول فى باريس كما تقدم . وطبع ثلاثة أجزاء منها فون فولر فى ليدن بين سنة ١٨٧٧ و سنة ١٨٨٤

فهذا اهتمام الأوربيين بالشاهنامه وهم لا تربطهم بها وبقومها ما يربط الأمم الشرقية . وإنا لنرجو أن يزيد اهتمام الشرقيين بهذه المنظومة العظيمة حتى لا تخلو لغة من اللغات الشرقية من ترجمة كاملة منثورة ومنظومة

ولعل هذا الاحتفال العظيم بذكرى شاعرنا النابغة الخالد ،